المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 20A شباط 2026
No.20A Feb. 2026

أثر المستوى الصَّوتي في المستويات اللغويَّة الأخرى(دراسة وصفيَّة دلاليَّة)

م. د. طالب حمد جكي حسين الجياشي
المديريَّة العامَّة للتَّربية في محافظة ذي قار

الملخَّص

تحاول هذه الدِّراسة أن تظهرَ علاقةَ المستوى الصَّوتي وأثره بالمستويات اللغويَّة الأخرى من أجلِ إيصال المعنى من الباثِّ إلى المتلقي بالصُّورة التي ينبغي لها أنْ تصل، من دون لبس أو تعمية أو إيهام أو تأويل، إذ يمكن أنْ تتضافرَ المستويات اللغويَّة جميعها في تكوين المعنى المراد. ومن أجل بيان هذا التضافر اللغوي قامت هذه الدِّراسة، وهي دراسة وصفيَّة ذات صبغة دلاليَّة، توزَّعت بعدما قدم لها من مقدَّمة على ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأوَّل في أثر المستوى الصَّوتي على المستوى المعجمي، وكان المبحث الثَّاني في أثر المستوى الصَّوتي على المستوى الصَّرفي، وأمَّا المبحث الثَّالث فكان في أثر المستوى الصَّوتي على المستوى النَّحوي. وقد بيَّنت هذه الدِّراسة في مباحثها الثَّلاثة، عمق الأثر والانسجام الحاصل بين المستوى الصَّوتي والمستويات اللغويَّة الأخرة، وأظهرت أنَّ هناك قواعدًا صوتيَّة لا يمكن الاستغناء عنها في المعجم أو الصَّرف أو النَّحو؛ لأنَّ مستعمل المعجم يحتاج إلى تلك القواعد لمعرفة معنى لم يكن مذكورًا في المعجمات اللغويَّة. كما أنَّ تلك القواعد قد أظهرت الانسجام الحاصل في التغيُّرات الصَّرفيَّة التي حدثت تماشيًا لمتطلَّبات النَّظام الصَّوتي. وأمَّا في المستوى النَّحوي فقد أظهرت تلك القواعد العلاقة الحاصلة بين الحركات الإعرابيَّة الدَّالَّة على المعنى الوظيفي، ولا يفوتنا ظاهرة الوقف.

الكلمات المفتاحية : المستوى الصَّوتي - المستويات اللغويَّة .

The Impact of the Phonetic Level on Other Linguistic Levels (A Descriptive Semantic Study)

Assistant Professor Dr. Talib Hamad Jaki Hussein Al-Jiyashi
The General Directorate of Education in Dhi Qar Province

Abstract:

This study aims to illustrate the relationship between the phonetic level and its impact on other linguistic levels to convey meaning from the speaker to the listener in the way it should reach, without ambiguity, misrepresentation, deception, or interpretation. All linguistic levels can converge to formulate the intended meaning. To showcase this linguistic synergy, the study, which is a descriptive study with a semantic nature, is divided into three sections following an introduction. The first section discusses the impact of the phonetic level on the lexical level, the second section focuses on the effect of the phonetic level on the morphological level, while the third section delves into its effect on the syntactic level.The study demonstrated in its three sections the depth of the impact and the harmony between the phonetic level and other linguistic levels. It revealed that there are phonetic rules that cannot be disregarded in the lexicon, morphology, or syntax since those using the lexicon need these rules to understand meanings that are not mentioned in linguistic dictionaries. Additionally, these rules revealed the harmony present in the morphological changes that occurred in accordance with the requirements of the phonetic

system. In the syntactic level, these rules highlighted the relationship between the grammatical cases that indicate functional meaning, as well as the phenomenon of pause.

Keywords: Phonetic Level - Linguistic Levels.

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمد وعلى آل بيته الطَّيبين الطَّاهرين.

أمَّا بعد فلا شكَّ أنَّ هناك صلةً واتصالًا وثيقًا بين المستويات اللغويَّة المختلفة من صوتٍ وصرفٍ ونحو ومعجم، ولا شكَّ أنّ اللَّبنة الأُولى التي ارتكزت عليها العلوم اللغويَّة جميعًا هي لبَنة الصَّوت، إذ من الخطأ أنْ يُهملَ دور الصَّوت في إجراء البحوث الدَّلاليَّة، وتحليل المواد اللغويَّة، وهذا يعني ضرورة ربط الأصوات ربطًا علميًّا وثيقًا بالمستوى المعجمي، والمستوى الصَّرفي، والمستوى النَّحوي؛ ولذلك يمكن القول إنّ المستويات اللغويَّة تتضافر جميعًا لأداء المعنى العام للأنساق اللغويَّة، ومن هنا نفهم أنَّ التَّرابط الوشيج بين مستويات اللغة كافة، وجد من أجل إظهار المعنى الذي يقصده الباثُّ، ويفهمه المتلقي كما أراد الباثُّ إيصاله من دون تعمية أو غموض أو إيهام. وهذا ما كان سببًا للولوج في هذه الدِّراسة ومثيلاتها.

وقد قُسِّمتْ الدِّراسة على ثلاثة مباحث، فكان المبحث في أثر المستوى الصَّوتي على المستوى المعجمي. وكان المبحث الثَّاني في أثر المستوى الصَّوتي على المستوى الصَّرفي. أمَّا المبحث الثَّالث فكان في أثر المستوى الصَّوتي على المستوى النَّحوي. ثمَّ انتهت الدِّراسة إلى خاتمة أظهرت أهم نتائج التي توصَّل إليها الباحث، وأردفها بمجموعة من التَّوصيات التي يلتمس من الباحثين اتِّباعها في الدِّراسات الدَّلاليَّة.

المبحث الأوَّل

أثر المستوى الصَّوتي على الدَّلالة المعجميَّة

يضم المعجم، كما هو معروف، المفردات في صورها المنفصلة عن السَّوابق واللواحق، وكذلك يخلو من المشتقات التي يمكن التَّوصّل إليها بقواعد صرفيَّة قياسيَّة، كقواعد اشتقاق صيغة المبني للمجهول من الفعل المبني للمعلوم، واشتقاق اسم الفاعل، واسم المفعول، والتَّصغير، وأفعل التَّفضيل، وهلمَّ جرًّا. وهذا هو الوضع الطَّبيعي لأيِّ معجمٍ جيِّدٍ؛ لأنَّ ما يمكن التَّوصّل إليه بقواعد قياسيَّة ينبغي ألَّا يُذكرَ في المعجم. إذ يمكن أن يحتوي على الفعل "أقامَ"، ولكنَّه لا يحتوي على "أقمتُ" ولا "أُقيمَ"، يمكن أن يحتوي على "عصفور" ولكنَّه "عُصَيْفِير"، ويحتوي على "عزيز" ولكنَّه لا يحتوي على "أعَزّ".

فإنْ أراد مستعمل المعجم أنْ يهتدي إلى الكلمات التي يريدها، وهي غير موجودة في المعجم، فعليه أنْ يلجأ إلى القواعد الصَّرفيَّة التي يحتاجها، ويحتاج أيضًا إلى بعض القواعد الصَّوتيَّة. فعند إضافة اللاحقة "تُ" الدَّالَّة على المتكلِّم المفرد إلى الفعل " أقام" فعليه أنْ يطبِّق قاعدة صوتيَّة، وهي تقصير العلَّة الطَّويلة عند وقوعها قبل صحيحين متواليين (قبل ساكن):

أقامْتُ (ءَ ـــا ق ـــَ ـــَ م+ ت ـــُ) ـــــــــــــــــــــــــــــ أَقَمْتُ (ء ـــَ ق ـــَ م ت ـــُ)

وإنْ أراد أن يشتقّ كلمة عُصَيفير، فعليه أنْ يطبِّق قاعدة التصغير أوَّلًا، وهي قاعدة صرفيَّة (ع ـــُ ص ف ـــُ ور ـــــــــــــــــــــــــــــ ع ـــُ ص ـــَ ي ف ـــِ ور). ثُمَّ يلجأ إلى قاعدتين صوتيَّتين من قواعد المماثلة:

الأولى: قاعدة تحويل شبه العلَّة – الواو- إلى شبه علَّة من جنس العلَّة التي تسبقها، أي: تحويل الواو إلى ياء مماثلة للكسرة:

(ع ـــُ ص ـــَ ي ف ـــِ ور ـــــــــــــــــــــــــــــــ ع ـــُ ص ـــَ ي ف ـــِ ي ر).

والثَّانية: تحويل الياء إلى كسرة مماثلة للكسرة السَّابقة لها فينشأ من الكسرتين المتواليتين كسرة طويلة: (ع ـــُ ص ـــَ ي ف ـــِ ي ر ـــــــــــــــــــــــــــــــ ع ـــُ ص ـــَ ي ف ـــِ ـــِ ر)

ولاشتقاق مفردة (أَعَزّ) نطبّق أوَّلًا قاعدة أفعل التَّفضيل الصَّرفيَّة، فنحصل على (أَعْزَزْ)، ثمَّ تطبَّق عليها قاعدة القلب المكاني الصَّوتيَّة، فيكون القلب بين الصَّحيح الأوَّل من الصَّحيحين المثلين (الزَّاي الأُولى في كلمة أَعْزَز) والعلَّة القصيرة الواقعة بعدها (الفتحة)، وهي العمليَّة التي أطلق عليها القدماء (نقل حركة حرف إلى الحرف السَّابق):

أَعْزَزُ (ء ـــَ ع ز ـــَ ز ـــُ) ـــــــــــــــــــــــــــــــ أَعَزُّ (ء ـــَ ع ـــَ زز ـــُ).

ويتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ هناك قواعد صوتيَّة لا يستغني عنها مستعمل المعجم، ومنها:

1- قاعدة حذف شبه العلَّة: (الواو، والياء إذا كانتا مفتوحتين ولم يتلوهما حرف الألف)، نحو: (دَعَوَ ـــــ دَعَا، ورَمَيَ ـــــ رَمَا، دَعَوَنَا ـــــ دَعَانَا).

2- قاعدة تقصير العلَّة الطَّويلة: إذا وقعت قبل صحيحين متواليين، أو صحيح واحد في نهاية الكلمة، أي: إذا وقعت قبل ساكن، ومثالها: (أَقَامْتُ ـــــ أَقَمْتُ، و يَنَامْنَ ـــــ يَنَمْنَ، رَمَيَتْ ـــــ رَمَتْ).

3- قاعدتا التَّخلُّص من العلَّة القصيرة: إذا وقعت بين صحيحين مِثْلين (دالين أو لامين، أو سينين، ....) إذ كان حذفهما لا يؤدِّي إلى مخالفة النِّظام الصَّوتي في العربيَّة، بمعنى أنَّ حذفهما لا يؤدِّي إلى توالي ثلاثة أصوات صحيحة، إلى التقاء ساكنين، ومثال ذلك: (مَدَدَ ـــــ مَدَّ)، ويحدث قلب مكاني(نقل الحركة) بين العلّة القصيرة الواقعة بين صحيحين مِثْلين والصحيح الأوَّل منهما إذا كان حذفها يؤدِّي إلى ثلاثة صحاح، كما في: (أَعْدَدَ ـــــ أَعَدَّ، و يَمْدُدُ ـــــ يَمُدُّ).

4- قاعدة إضافة الكسرة في بداية الكلمة: تضاف كسرة مسبوقة بهمزة، إذا كانت الكلمة الواقعة في بداية الجملة المنطوقة تبدأ بصحيحين متواليين، أي تبدأ بـ (ساكن)، فالعرب لا تبدأ بساكن، إذ تضاف الهمزة في بداية الكلمة قبل الكسرة؛ لأنَّ نظام العربيَّة الصَّوتي لا يجيز البدء بعلَّة (حركة)، ومن المستغرب أن تنطق الكلمات المبدوءة بهمزة وصل أو قطع من دون نطق الهمزة.

احْتَرَمَ: ح ت ـــَ ر ـــَ م ـــَ ـــــــــــــــــــــــــــــــ ء ـــِ ح ت ـــَ ر ـــَ م ـــَ.

استعدَّ: س ت ـــَ ع د ـــَ د ـــَ ـــــــــــــــــــــــــــــــ ء ـــِ س ت ـــَ ع ـــَ د د ـــَ.

5- قواعد المماثلة:

ومنها: مماثلة الصَّحيح للصَّحيح: إذ تحوّل هذه القاعدة الصَّوت الصَّحيح إلى صحيح آخر مماثلة للصَّحيح الذي يليه في بعض السِّمات، ومثالها في كلمة (يَنْبَغي)، إذ تصبح النُّون صوتًا شفويًّا قبل الباء يكون مماثلًا لها في سِمة لم تكن موجودة فيها ولكنَّها لم تصبح باءً فتلفظ (يَمْبغي)، وهذا ما يسمَّى في علم التجويد إقلابًا، ومنه كلمة (سُنْبُلَة ـــــ سُمْبُلَة)، وهذه المماثلة جزئيَّة. وكذلك في كلمة (يَنْمَحِي)، فيكون التَّحوّل في السِّمة ذاتها في النُّون لتكون مثل الميم تمامًا، فتلفظ (يَمَّحِي)، وهذا ما يسمَّى في علم التجويد إدغامًا، وهي مماثلة تامَّة. وهناك مماثلة العلَّة للعلَّة، وأكثر ما تقع بين الضَّمة والكسرة كما هو في فعل الأمر (اِدْخُلْ ـــــ أُدْخُلْ)، والفعل المبني للمجهول إذا كان أجوفًا (بُيْعَ ـــــ بِيْعَ). وهناك مماثلة شبه العلَّة للعلَّة، والعلَّة لشبه العلَّة[1].

(1) ينظر: دراسات في علم أصوات العربيَّة: 2/ 139- 142.

6- قاعدة حذف الهمزة (السَّاكنة) في بداية الكلمة:

إذ تحذف الهمزة إذا كانت ساكنة في بداية الكلمة، أي: إذا كانت متلوَّة مباشرة بصوتٍ صحيح, وهذا ما يكون في فعل الأمر، ومثالها: (أَخَذَ ـــ يَأْخُذُ ـــ خُذْ).

7- قاعدة حذف الهمزة وإطالة العلَّة القصيرة السَّابقة لها:

وهذا ما يكون في الهمزة السَّاكنة إذا تلاها صوت صحيح وكانت مسبوقة بهمزة متحرِّكة، وهذا ما نجده في (آمَنَ، و آجال) وغير ذلك[2].

إنَّ هذه القواعد الصَّوتيَّة يحتاجها مستعمل معجم اللغة للتَّوصِّل إلى ما يحتاجه من كلمات غير موجودة في المعجم انطلاقًا من الكلمات الموجودة فيه.

أمَّا الدَّلالة الصَّوتية في اللغة فهي: " تلك الدَّلالة المُستمدَّة من طبيعة الأصوات، فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى - أدَّى ذلك إلى اختلاف دلالة كلٍّ منهما عن الأخرى" [3]، أو هي: "المعاني المستفادة من نطق ألفاظ معينة" [4].

وقد عُنِي المتقدِّمون بهذا النَّوع من الدَّلالات، فقد أشار إليها الخليل في أنَّ العرب تشتقُّ في كثير من كلامها أبنية المُضاعف من بناء الثُّلاثي المُثقَّل بحرفي التَّضعيف، ومن الثُّلاثي المعتلّ، وقد ضرب مثلًا قولهم: صلَّ الِّلجامُ يَصِلُّ صليلًا، ففي كلمة (صَلَّ) تَمُدُّ اللَّام وتثقِّلها، وقد خففت في (الصَّلصلة)، وهما جميعًا صوت الِّلجام، فالثِّقلُ مدٌّ والتَّضاعف ترجيعٌ يَخِفُّ، فلا يتمكن؛ لأنَّه على حرفين، فلا يتقدَّر للتَّصريف حتى يُضاعَف أو يُثَقَّل. وبقوله: " ويجيء منه كثيرٌ مختلفًا، نحو قولك: صَرَّ الجُنْدُبُ صريرًا، وَصَرْصَرَ الأَخْطَبُ صَرْصَرةً، فكأنَّهم توهَّموا في صوت الجُنْدُبِ مدًّا، وتوهَّموا في صوت الأخطب ترجيعًا، ونحو ذلك كثيرٌ مختلفٌ"[5].

وأَصَّلَ ابن جني لهذه الدَّلالة، فعقد بابًا في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وبابًا في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وبابًا في قوة اللفظ لقوة المعنى، وقد جمع فيها أمثلة تُبين القيمة التَّعبيرية للحرف(الصَّوت) الواحد في حال البساطة، وأيضًا في حال التَّركيب[6]، إذ رأى أنَّ الحرف الواحد يقع على صوت معين، ويوحي بالمعنى المناسب؛ سواء أكان هذا الحرف أوَّلًا، أم وسطًا، أم آخرًا، وذلك في حال البساطة وكالآتي:

1- ما وقع فيه الحرف أوَّل الكلمة:

"العسف والأسف، والعين أخت الهمزة، كما أنَّ الأسف يعسف النَّفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أنَّ أسف النَّفس أغلظ من التَّردد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين" [7].

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ (مريم: 83)؛ أي: "تزعجهم وتُقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنَّهم خصُّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنَّها أقوى من الهاء، وهذا أعظم في النَّفُوس من الهزّ؛ لأنَّك قد تهزُّ ما لا بالَ له؛ كالجذعِ وساقِ الشَّجرة، ونحو ذلك"[8] .

(2) ينظر: دراسات في علم أصوات العربيَّة: 2/ 143.
(3) علم الأصوات العربي في ضوء الدِّراسات الصَّوتية الحديثة:30، وينظر: دلالة الألفاظ:35.
(4) الدَّلالة الصَّوتية والصَّرفية في سورة يوسف في ضوء الدِّراسات اللغويَّة الحديثة ومناهجها:2.
(5) كتاب العين مرتَّبًا على حروف المعجم: 1/ 40، وينظر: الخصائص: 2 / 152.
(6) ينظر: الخصائص: 2/ 145، 146، ودراسات في فقه اللغة:141، 142.
(7) الخصائص: 2/ 146 .
(8) الخصائص: 2 / 146 .

ومنه أيضًا: "سَدَّ وصَدَّ، فالسَّدُّ دون الصَّدِّ؛ لأن السَّد للباب يُسدّ والمَنْظَرة ونحوها، والصَّدُّ جانب الجَبَل والوادِي والشِّعْب، وهذا أقوى من السَّد الذي قد يكون لثَقْب الكُوز ورأس القارورة ونحو ذلك، فجعلوا الصَّاد لقوتها للأقوى، والسِّين لضعفها للأضعف"[9].

2- ما وقع في وسط الكلمة:

التَّاء والطَّاء والدَّال في بناء: (ق ط ر)، و(ق د ر)، و(ق ت ر)، فالتَّاء خافية متسفلة، والطَّاء سامِية متصعِّدة، فاستُعمِلتا - لتعاديهما - في الطَّرَفين كقولهم: قُتْر الشَّيء وقُطْره، والدَّال بينهما ليس لها صعود الطَّاء ولا نزول التَّاء، فكانت لذلك واسطة بينهما، فعبّر بها عن معظم الأمر ومقابلته، فقيل: قدر الشَّيء لِجماعِه ومحرنجَمِه [10].

ومن ذلك قولهم الوَسِيلة والوَصِيلة، والصَّاد -كما ترى - أقوى صوتًا من السِّين، لما فيها من الاستِعلاء، والوَصِيلةُ أقوى معنىً من الوسيلة، وذلك أنَّ التَّوسل ليستْ له عِصْمة الوصل والصلةِ، بل الصِّلة أصلها من اتصال الشَّيء بالشَّيء ومماسَّتِه له، وكونه في أكثر الأحوال بعضًا له؛ كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتَّوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسِّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليهِ، وهذا واضح، فجعلوا الصَّادَ لقوَّتها للمعنى الأقوى، والسِّين لضعفها للمعنى الأضعف[11] .

ومن ذلك: "القَسْم والقَصْم، فالقَصْم أقوى فِعْلًا من القسم؛ لأن القصم يكون معه الدقُّ، وقد يقسم بين الشَّيئين، فلا يُنْكأ أحدهما، فلذلك خُصَّتْ بالأقوى الصَّادُ، وبالأضعف السِّينُ"[12].

3- ما وقع في آخر الكلمة:

ومنه: نَضَحَ ونَضَخَ، وهما للماء، والنَّضخُ أقوى من النَّضح، قال الله سبحانه: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ (الرحمن: 66)، فجعلوا الحاء - لرقَّتها - للماء الضَّعيف، والخاءَ - لغِلَظِها - لما هو أقوى منه[13] .

ومن ذلك: القطُّ عَرْضًا والقَدُّ طُولًا ، وذلك أن الطَّاء أحصر للصَّوت وأسرع قطعًا له من الدَّال، فجعلوا الطَّاء المناجِزة لقطع العَرْضِ لقربه وسرعته، والدَّالَ المماطِلة لِما طال من الأثَر وهو قطعه طولًا[14] .

ومن ذلك أيضًا: الخذا: (الاسترخاء في الأُذُن) والخذأ: (الاستخذاء في الذُّل)، فجعلوا الواو في خذا؛ لأنها دون الهمزة صوتًا للمعنى الأضعف؛ وذلك أن استرخاء الأذن ليس من العيوب التي يُسبُّ بها، ولا يُتناهى في استقباحها، وأمَّا الذُّل فهو من أقبح العيوب، وأذهبها في المَرْزاةِ والسَّب، فعبَّروا عنه بالهمزة لقوتها، وعن عيب الأُذن المحتمل بالواو لضعفها، فجعلوا أقوى الحرفين لأقوى العيبين، وأضعفَهما لأضعفهما[15] .

وإذا كان ابن جني قد بيَّن القيمة التَّعبيريَّة للحرف الواحد، وهو بعد صوت بسيط يقع في أوَّل الكلمة، ويقع في وسطها تارة أخرى، ويقع في آخرها تارة ثالثة، وهو يؤدي دلالة غير التي يؤديها ما يقاربه في المخرج أو الصِّفة، إذا كان ذلك كذلك، فقد بيَّن قيمة الحرف حال ترتيبه مع غيره أيضًا، فها هو ذا ابن جني يؤكِّد أنَّ في ترتيب حروف الكلمة أسرار عجيبة، والحكمة فيها أعلى وأصنع مما ذكر، وذلك أنَّ العرب قد يضيفون إلى اختيار الحروف، وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبِّر عنها بها ترتيبها، وتقدَّيم ما

(9) الخصائص: 2/ 161.
(10) احرنجمت الإبل: اجتمعت. ينظر: الخصائص: 2 / 162 .
(11) ينظر: الخصائص: 2 / 160 .
(12) الخصائص: 2 /161 .
(13) ينظر: الخصائص: 2 / 158.
(14) بنظر: الخصائص: 2 / 150.
(15) ينظر: الخصائص: 2 /160.

يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه؛ سوقًا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب[16].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ علماء غريب الحديث قد تنبهوا إلى هذه الدَّلالة الصَّوتيَّة، كما بينوا قيمة الصَّوت البيانيَّة، وذلك حين يأتي في الحديث الشَّريف ما يسمح لهم بالحديث عن هذه القيمة، ومن ذلك ما ذكره أبو عبيد في حديث النَّبي (صلَّى الله عليه وآله وسلم)، وقد ذكر نعت أهلِ الجنَّة، فقال: "ويرفع أهل الغُرَف إلى غرفهم في درَّةٍ بيضاء، ليس فيها قَصْم ولا فصم"[17].

قال أبو عبيد: قوله: "القَصْم بالقاف: هو أنْ ينكسر الشَّيءُ فيَبِين، يقال منه: قصمت الشَّيء أقصمُه قصمًا، إذا كسرتُه حتى يَبين، ومنه قيل: فلان أقصم الثَّنية إذا كان مكسورها...، وأما الفصم بالفاء: فهو أن ينصدع الشَّيء من غير أنْ يبين، يقال منه: فصمت الشَّيء أفصمه فصمًا، إذا فعلتُ ذلك به، فهو مفصوم..."[18] .

لقد وقف أبو عبيد على دلالة الصَّوت التَّعبيرية على وفق هذا الحديث الشَّريف، فقد بيَّن الفرق بين (الفصم) و(القصم)، فالفصم: انصداع للشَّيء من غير أنْ ينكسر وينفصل بعضه من بعض، والقصم: انكسار الشَّيء حتى يَبين وينفصل بعضه من بعض. فجعل الصَّوت الضَّعيف للمعنى الضَّعيف (الفصم)، وجعل الصَّوت القوى للمعنى القوى (القصم). وذكر ابن فارس أنَّ: الفاءُ والصَّادُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انصداعِ شيءٍ من غير بينونةٍ، من ذلك: الفصمُ، وهو أنْ ينصدعَ الشَّيءُ من غيرِ أنْ يبين، وذكر ايضًا أنَّ: القافُ والصَّادُ والميمُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الكسرِ[19]. وبيَّن أبو عبيد ها هنا القيمة التَّعبيريَّة لكل من الخاء والقاف في (خضم وقضم)، وأنَّ الخضمَ أبلغُ من القضمِ، فالخضمُ بأقصى الأضراسِ، والقضمُ بأدناها، فإنَّ أبا عبيد ها هنا يقف بنا على دلالة صوتيَّة بيَّنتها القيمة البيانية لكل من صوتي الخاء في (خضم)، والقاف في (قضم)، ولقد جعل الخضم أقوى وأبلغ من القضم، ويخالف ابن جني أبا عبيد في الذي ذهب إليه؛ إذ قال في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها...، من ذلك قولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الرَّطِب؛ كالبطِّيخ والقثَّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرَّطِب، والقضم للصلب اليابس؛ نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر: (قد يدرك الخضم بالقضم)؛ أي: قد يدرك الرَّخاء بالشِّدة، واللِّين بالشَّظِف، وعليه قول أبي الدَّرداء: (يخضمون ونقضم، والموعد الله)[20].

وما ذهب إليه ابن جني يؤيده أمران:

1- ما ذهبت إليه الدِّراسات الصَّوتيَّة من أنَّ الخاء: حرف مهموس رخو مستعل منفتح مصمت، والقاف شديدة مجهورة مستعلية منفتحة [21]، فالقاف أقوى من الخاء. هذا في حال البساطة، أمَّا في حال التَّركيب، فقد تنبه هؤلاء العلماء الأجلاء لهذه القيمة للحرف في حال التَّركيب، وأشار ابن جني إلى هذه الدَّلالة؛ حيث ذكر أنَّ سيبويه قال في المصادر التي جاءت على (الفَعَلان): إنَّها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو: (النقزان، والغليان، والغثيان)، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ومن هذه تجد صيغًا كثيرةً على سمت ما حداه، ومنهاج ما مثَّلاه، وذلك أنَّك تجد المصادر الرُّباعيَّة المضعَّفة تأتي للتَّكرير؛ نحو: (الزَّعزعة، والقلقلة، والصَّلصلة، والقعقعة، والصَّعصعة، والجرجرة، والقرقرة)، وتجد أيضًا الفَعَلى

(16) ينظر: الخصائص: 2 / 162.
(17) الفائق في غريب الحديث: 3/ 200.
(18) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي:3/ 294 ،296.
(19) ينظر: مقاييس اللغة: 4: 506 ، 5 / 93.
(20) ينظر: الخصائص: 2 / 157.
(21) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربيَّة: دراسة نظريَّة وتطبيقيَّة:91، 94 .

في المصادر والصِّفات إنَّما تأتي للسُّرعة؛ نحو: (البشكى، والجمزى، والولقى)؛ قال أُمية بن أبي عائذ الهذلي[22]:

كَأَنِّي وَرَحْلِي إذا هَجَّرْت على جَمَزَى جَازِئٍ بالرمال

أو أصحمَ حَامٍ جَرَامِيزَه حَزَابِيةٍ حَيَدَى بِالدِّحَالِ

وقال ابن قتيبة: "كان يقال: من وقى شر لقلقه، وشر ذبذبه، فقد وقى. قال الأصمعي اللَّقْلَق اللِّسان والقَبْقَب البَطْن والذَبْذَب الفَرْج...، إنَّما قيل للسان: لَقْلَق من اللَّقْلَقة، وهي الجَلَبة، وكأنَّ اللقلقة حِكاية الأصوات إذا كثُرت...، وإنَّما قيل لِلبَطْن قَبْقب من القَبْقَبة، وهو صوت يُسْمَعُ من البَطْن، وكأنَّ القَبْقبة حكاية ذلك الصوت"[23]. فكلمتا (لقلق، وقبقب) حكايتان للأصوات إذا كثُرت، وقد بيَّن ابن قتيبة علة تسمية اللسان لقلقًا، والبطن قبقبًا. وأصل بناء (لقلق، وقبقب) (لق، وقب) تكرر هذا المقطع، فنتج البناء الرُّباعي المضاعف، فهذا الأصل الثُّنائي ما يفتأ أنْ يُوحي عند التَّركيب والامتزاج بما كان يوحي به الصَّوت في حال البساطة والإفراد من قيمة بيانية له.

وقد سمَّى العلماء هذه الظَّاهرة بـ"الثُّنائية التاريخيَّة" و قال بعضهم: إنَّ أصل الكلم هو الثُّنائي، فلقد وضعت الكلم في أوَّل أمرها على هجاء واحد: متحرك فساكن محاكاة لأصوات الطَّبيعة، ثم زيد فيها حرف أو أكثر في الصَّدر أو القلب أو الطرف، فتصرَّف المتكلِّمون بها تصرُّفًا يختلف باختلاف البلاد، والقبائل، والبيئات، والأهوية، فلكل زيادة، أو حذف، أو قلب، أو إبدال، أو صيغة معناة أو غاية، أو فكرة دون أختها، ثم جاء الاستعمال فأقرَّها مع الزَّمن على ما أوحته إليهم الطَّبيعة، أو ساقهم إليها الاستقراء، والتَّتبع الدَّقيق، وفى كل ذلك من الأسرار والغوامض الآخذة بالألباب، ما تجلت بعد ذلك تجليًا بديعًا، استقرت على سنن وأصول وأحكام ثابتة لن تتزعزع" [24]. ومثال ذلك صوت الدَّجاجة، إذ يقال للدَّجاجة إذا قطعت صوتها: قرَّت تقرُّ قرًّا وقريرًا، فإذا رجعت فيه، قيل: قرقرت قرقرة وقرقريرًا [25].

لم ينصَّ الشَّارح صراحةً على الدَّلالة الصَّوتيَّة، وإنَّما يستنتج من كلامه، وأرى أنَّ تكرير المقطع (قرقر) دل على حركات الفعل (ترجيع الصَّوت)، كما دل القطع في الفعل (قَرَّ) على قطع الصَّوت. فأظهر حرفي التَّضعيف، فإذا صرفوا ذلك في الفعل، قالوا: قرقر، فيظهرون حروف المضاعف لظهور الرَّاءين في قرقر، ولو حكى صوته وقال: قرَّ، ومدُّ الرَّاء لكان تصريفه: قرَّ يقرُّ قريرًا، كما يقال: صرَّ يصرُّ صريرًا، وإذا خفَّف وأظهر الحرفين جميعًا، تحوَّل الصَّوت من المدِّ إلى التَّرجيع فضوعف؛ لأنَّ التَّرجيع يُضَاعَفُ كلُّه في تصريف الفعل إذا رجع الصَّائت، قالوا: صرصر وصلصل، على توهُّم المدِّ في حال، والتَّرجيع في حال[26].

(22) ينظر: شرح أشعار الهذليين :2/ 175، 176، يريد بالجمزى: حمار الوحش، وجازئ: يَستغني بالرطب عن الماء، والأصحم: من الصحمة، وهي سواد إلى صفرة، وجراميزه: جسده ونفسه، وحزابية: مجتمع الخلق غليظ، وحيدى: يحيد من سرعته، والدّحال: جمع الدحل، وهو هوة من الأرض ضيقة.

(23) غريب القرآن؛ ابن قتيبة: 1/ 430 .

(24) نشوء اللغة ونموها واكتهالها: 1، 2

(25) ينظر: غريب الحديث ؛لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي: 1/ 160، 161، وينظر: لسان العرب: (قرر) 7/ 308.

(26) ينظر: كتاب العين (قرَّ): 5 / 35.

المبحث الثَّاني

أثر المستوى الصَّوتي على المستوى الصَّرفي

يهدف المستوى الصَّرفي كغيره من المستويات إلى بيان خواص اللغة وتحليل مميزاتها، وله الأثر الكبير في كشف وفهم العلاقات النَّحوية في الجملة العربيَّة، إذْ لا يفصل الصَّرفَ عن النَّحو خطٌّ عريضٌ، بل خطٌّ رفيعٌ؛ لأنَّ الظَّواهر الصَّرفية والنَّحوية تكون متداخلة في إطار الظَّاهرة الصَّوتية التي ينبني عليها هذان العِلْمانِ، ولكنَّنا عندما نأخذ كل علمٍ بمعزلٍ عن الآخر نجد الانسجام الصَّوتي أثر دلالي في الجانب الصَّرفي. ويتضح ذلك على وفق مواضع كثيرة من البنية الصَّرفيَّة، من أهمها:

1- في صيغة المبني للمجهول (فُعِلَ) مع صائتين متنافرين: إذ يظهر أنَّ المرفوع الذي يقع بعده ليس فاعلًا وإنَّما هو ناب مناب الفاعل وهناك فرق في الدَّلالة بينهما، وتركيب الفعل الصَّوتي يتكون بتتابع صائتين (ثقيلين) هما الضَّمَّة والكسرة في مقطعين متواليين، وهو تركيب حركي تنفرد به هذه الصِّيغة، وهو بناءٌ لا نظيرَ له يؤتى به للتَّمييز بين صيغة العلوم، وصيغة المجهول، وفيها تقدَّمت الضَّمَّة وتأخرت الكسرة ولم يحدث العكس، لعلَّة صوتيَّة؛ لأنَّ الخروج من ضمٍّ إلى كسرٍ أخفُّ من الكسر إلى الضَّمِّ؛ لأنَّه إذا بدأ بالأخفِّ وثني بالأثقل كانت الكلفة أثقل، ولذلك بني بهذه الصِّيغة، ومن ذلك ما هو ذات الصَّوائت القصيرة، ومنه الأفعال الحلقية مثل الفعل(كُشِطَتْ) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ**﴾ (التكوير:11)، رسم المصحف (كُشِطَت) بضم الكاف وكسر الشِّين[27].

2- في صيغة (انفعل):

ذكر ابن جنِّي مدى اقتران دلالة المطاوعة بصيغة (انفعل) بقوله : "اعلم أنَّ مثال (انْفعل) لا يكون متعدِّيًا البتَّة، وإنَّما جاء في كلام العرب للمطاوعة، ومعنى المطاوعة: أنْ تريد من الشَّيء أمرًا ما فتبلغه إمَّا بأنْ يفعل ما تريد إذا كان مِمَّا يصحُّ منه الفعل، وإمَّا أنْ يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصحُّ منه الفعل، وإنْ كان مِمَّا لا يصحُّ منه الفعل" [28].

الأصل في صيغة (انفعل) الدَّلالة على المطاوعة، إلَّا أنَّه عرض لهذه الصِّيغة تطور جعلها تحلُّ محل صيغة المبني للمجهول(فُعِل)، أو تنوب عنها، ويفسر هذا التَّطور الدُّكتور رمضان عبد التَّواب بقوله: "ولمَّا كان (فاعل) هذا الفعل المطاوع مشبَّهًا في المعنى للمبني للمجهول في نحو (كُسِرَ الإناء)، و(فُتِحَ الباب) إذ لا يذكر مع المبني للمجهول غالبًا و إلَّا ما هو مفعول به في المعنى، وأصبح من الممكن أنْ ينوبَ هذا المطاوع مناب المبني للمجهول"[29].

ومن ذلك صيغة (انكدرت) إذ وردت في سياق المبني للمجهول، أي صيغة المطاوعة (انفعل) استعملت للدَّلالة على المبني للمجهول، ويعلل الدُّكتور إبراهيم السَّامرائي لمجيء صيغة (انفعل) في سياق صيغة(فُعِل) فيقول: "ولو لم تقتض الحكمة الإتيان بالفعل (انكدر) على (انفعل) لأتى فعل آخر على (فُعِل) غير أنَّ الفعل (انكدر) لا يمكن أن يبني على (فُعِل) وذلك للزومه واللازم لا يبنى للمفعول كما هو معروف" [30].

وذهب الأستاذ مصطفى جواد إلى أنَّه لا ثلاثي للانكدار الذي هو بمعنى الانقباض والإسراع ولا ما قريب من هذا[31]؛ ولذلك استعمل (انكدر) بدلًا من (كدر) مبنيًّا للمجهول [32].

---

(27) ينظر: الانسجام الصوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث: 113

(28) ينظر: المنصف: 1/ 71.

(29) بحوث ومقالات في اللغة: 79 .

(30) الفعل زمانه وأبنيته: 102.

(31) ينظر: الفعل زمانه وأبنيته: 102.

ومن الأمثلة القرآنية التي جاءت على هذه الصِّيغة أيضًا، قوله تعالى: ﴿**إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ**﴾ (الانفطار: 1- 2).

ويتَّضح لنا أنَّ الأصلَ الغالب في بناء (انفعل) يأتي مطاوعًا للفعل الثُّلاثي المتعدِّي لمفعولٍ واحدٍ؛ لتمكين المطاوعة، فيأتي الفعل الذي على هذه الصيغةِ غير متعدٍّ، كون المطاوعةُ وسيلةً لتحويل الفعل من متعدٍّ إلى لازم؛ لأنَّ (انفعل) لا يكون إلَّا لازمًا، وهو في الغالب مطاوع فعلٍ شرط أنْ يكون من الأحداث الظاهرة التي تراها العيون، زد على ذلك أنَّ الفعل المأخوذ من هذه الصِّيغة يبدو حصوله ذاتيًّا، وهو ما حدا أنْ تسمَّى بالأفعال الذَّاتيَّة، على خلاف الفعل المأخوذ من (فُعِل) الذي يبدو فيه دافع خارجي[33].

3- في حذف همزة الوصل:

تحذف همزة الوصل التي في بداية لام التَّعريف لفظًا وكتابة، إذا دخلت اللام الحرفية سواء أكانت للجرّ أم للقسم والتَّوكيد، أم للاستغاثة أم للتَّعجب؛ ولأنَّها تبقى مع الفاء أو الواو، والسَّبب في حذف الهمزة مع اللام، وبقائها مع الفاء أو الواو أمن اللبس، فعند دخول اللام على اسم معرف بـ (الـ)، فإنَّ همزة الوصل تحذف، ولابدَّ أنْ نعلم أنَّ اللام الثَّانية للتَّعريف، فنقول في الفقراء (للفقراء)، ولن يلتبس الأمر علينا، في حين لو أسقطنا همزة الوصل من (الـ) التَّعريف عند دخول الفاء أو الواو، فإنَّ الكلمة ستصبح (لفقراء)، و(ولفقراء)، فربما يلتبس ذلك على القارئ ويظن أنَّ هذه اللام ليست للتَّعريف، وإنَّما اللام الجارة [34].

وهناك صيغ تشكِّل مجالات دلاليَّة واضحة، ولا سيَّما في ألفاظ القرآن الكريم، ومنها الألفاظ الدَّالة على يوم القيامة والحساب التي تحمل دلالة الاضطراب والرَّج والحركة الشَّديدة، ممَّا يدِلُّ على التنوع الدَّلالي، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:6]، إذ تبرز المناسبة بين أصوات الكلمة (الرَّاجفة)، وما تدلُّ عليه من حيث مناسبتها لأجزاء الحدث، فالرَّاء القويَّة المكرَّرة توحي في أنفسنا حركة الرجف وصوته، فصوت الصَّائت الطَّويل يعطي استمراريَّة أكثر وكثافة أغزر، ويقابله صوت الجيم القويَّة اللازمة لإحداث الاضطراب والرَّجف والمفاجأة غير المتوقعة التي تحصل أوَّل مرَّة. كما نلحظ استعمال الجناس الاشتقاقي في الفعل (ترجف) مع الاسم (الرَّاجفة)، فقد ولد الاشتقاق لفظة من لفظة مضيفًا معنى جديدًا بوساطة زيادة الأحرف، ممَّا أدَّى لزيادة المعنى، وحصول الاختصاص وأبرز الاختلاف المعنوي بين الكلمتين المتجانستين[35].

ومنها أيضًا في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر:21]، إذ تظهر المناسبة بين أصوات الكلمة وما تدل عليه من حيث قوَّة أصواتها المناسبة لمعنى الدَّك القوي، ومنسبتها لأجزاء الحدث، فالمقطع الأوَّل (دُكَّت) يحكي أوَّل صوت الدك والهدم والشَّق، والمقطع الثَّاني (دكًّا) يحكي تكرار حدث الدَّك واستمراره وما ينتج عنه من ذِلَّة، والتكرار هنا بمعنى دكًّا بعد دك. فالانتقال من صوت الدَّال المجهور الصَّامت الذي ينحبس معه الهواء مدَّة من الزمن عند أصول الثَّنايا العليا ثمَّ يترك ليعود إلى الانحباس مرَّة ثانية عند أقصى اللسان وأقصى الحنك اللين للنطق بالكاف، يشعر بتكرار الضَّغط على

---

(32) ينظر: الانسجام الصَّوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث: 14.
(33) ينظر(البحوث): صيغة انفعل في القرآن الكريم دراسة صرفيَّة دلاليَّة: 3، وصيغة انفعل في التَّعبير القرآني دراسة في المبنى والمعنى:3، وصيغة انفعل في القرآن الكريم دراسة صوتيَّة: 4، ومعاني صيغة انفعل في اللغة العربيَّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم: 645.

(34) ينظر: الانسجام الصَّوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث: 114- 115.
(35) ينظر: التَّفسير الكبير: 34/11، الانسجام الصَّوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث: 410.

الأرض حتى لا يبقى منها شيء إلَّا وقع عليه الدَّك، وقد أوحى صوت الألف من النَّاحية الصَّوتيَّة باستمراريَّة ذلك الحدث، وهو ما وافق المعنى الحقيقي، وقوَّته نبرة الشِّدَّة في وسط الكلمة(36).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التَّكوير: 2]، المراد من الانكدار السُّقوط والتَّناثر بعد السُّقوط، وتبرز المناسبة بين أصوات الكلمة وما تدلُّ عليه من حيث مناسبتها لأجزاء الحدث، فالهمزة والنُّون تقابلان بداية الحدث، أي: طواعيَّة النُّجوم للانكدار، والكاف والدَّال القويتان تقابلان انتشارها وتساقطها، والرَّاء المجهورة المكرَّرة تقابل تكرار هذا التَّساقط، و صوت التَّاء المغلقة المهموس الشَّديد يقابل نهاية حدث الانكدار واكتماله(37).

(36) ينظر: التَّفسير الكبير:11/ 158، والانسجام الصَّوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث: 411.
(37) ينظر: الكشَّاف: 4/ 707، والانسجام الصَّوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث: 415.

المبحث الثَّالث

أثر المستوى الصَّوتي على المستوى النَّحوي

ذهب بعض الدَّارسين إلى أنّ النَّحو في أساسه بُني على المستوى الصَّوتي، ولا سيَّما في مسألة الخفَّة والثِّقل، كما هو الحال في نظريَّة الحس الصَّوتي للدكتور محمَّد كاظم البكَّاء[38]، وغيرها من الدِّراسات التي صبَّت اهتمامها بذلك.

وما يعنينا في هذا المقام تلك الملامح الصَّوتيَّة التي تصاحب التَّراكيب النَّحويَّة، وتساعد على فهم المعنى وإدراكه، كظواهر الوقف، والابتداء، والتَّخفيف، والتَّشديد، والحذف، والزيادة، والإقلاب، والإبدال، والخفَّة، والثِّقل، وهلمَّ جرًّا... مما لا شكَّ فيه أنَّ للمستوى الصَّوتي أثر دلالي في تركيب الجملة النَّحويَّة، ويكون ذلك في مواضع عديدة منها:

1- الحركات الإعرابيَّة أو ما ينوب عنها:

تعد الحركات من الأمور الدَّالَّة على المعنى الوظيفي (الطَّارئ)، وهي من أبرز المتعلِّقات الموقعيَّة إذا كان التَّركيب كإطار تتحرَّك فيه الحركات الطارئة للقيام بوظيفتها، فهي لا تمثل الدَّلالات الجزئيَّة من نحو الفاعليَّة والمفعوليَّة ... وغير ذلك فقط، وإنَّما تعطي دلالات كليَّة جامعة للوظائف النَّحويَّة بدلالتها على العُمَد والفضلات كونها تجسِّد معاني وظيفيَّة، وهي معان طارئة على الأسماء، والمعنى الطَّارئ لا يمكن أن يكون معنى معجميًّا، وإنَّما يكون في الاسم؛ لأنَّه بعد وقوعه في الكلام لا بدَّ أن يعرض فيه كونه عمدة الكلام، أو كونه فضلة. فالرفع علم الاسم كونه عمدة الكلام، ولا يكون في غير العمدة، والنَّصب علم الفضلة في الأصل، ثمَّ يدخل في العمدة تشبيهًا بالفضلات، والجر علم الإضافة كون الاسم مضافًا إليه معنى ولفظًا. ويعتمد في ذلك على أساس صوتي، وهو طبيعة التهيئة المخرجيَّة تبعًا لما انمازت به الحركات الإعرابيَّة، فتعطى أقوى الحركات (الرفع) للأهم في تكوين الجمل وهي العمد (الفاعل، والمبتدأ، والخبر)؛ أمَّا في البقيَّة فيعتمد على التَّطريز أو التَّغاير الصَّوتي[39].

ذكر سيبويه الحركات وهي من الفونيمات التَّركيبيَّة أيضًا، فالفتحة والضَّمة والكسرة أو الحركات القصيرة بالتَّعبير الحديث وما أخذت منه وهي الألف والواو والياء أو الحركات الطَّويلة، وهي فونيمات تركيبية يؤدي تغييرها إلى تغيير الدَّلالة، إلَّا إذا كان التَّغيير على سبيل الإبدال غير المؤثر على الدَّلالة [40].

ولعلَّ من أهم ما دار عليه كتاب سيبويه هو ارتباط الدَّلالة بالحركات، والحروف النَّائبة عنها في مجال الإعراب، وقد تحدَّث عن هذا الموضوع في مقدَّمة كتابه، وقال ذلك في باب مجاري أواخر الكلم من العربية، فقد ربط سيبويه بين الحركات على حروف الإعراب وإشارتها إلى الإعراب، وهو كما نعلم مرتبط بالمعنى أو الدَّلالة التي يريدها المتكلِّم، كما أشار إلى ظهور الحركات بغير دلالة على الإعراب في الكلمات المبنية [41].

وما يمكن توضيحه في موضوع ارتباط الدَّلالة بالفونيم التَّركيبي، وما يشير إلى معنى النَّصب، وفيه نلاحظ تغير المعنى عند تغير الحركة، قول سيبويه: " واعلم أنَّ معنى ما انتصب بعد أو على إلَّا أَنْ، كما كان معنى ما انتصب بعد الفاء على غير معنى التَّمثيل تقول: لألزمنَّك أو تقضيَني ولأضربَنَّك أو تَسبقَني؛

(38) ينظر: نظريَّة الحس الصَّوتي لتعليم النَّحو العربي (مدخل لدراسة كتاب سيبويه): المقدَّمة.
(39) ينظر: مسارات الدَّرس الصَّوتي: 136 – 141.
(40) ينظر: كتاب سيبويه: 3/ 544 ، 4/ 240.
(41) ينظر: كتاب سيبويه: 1/ 13، 154.

فالمعنى لألزمنَّك إلَّا أن تقتضيَني ولأضربَنَّك إلا أن تسبقَني. هذا معنى النَّصب" [42]. ثم استشهد بقول امرئ القيس[43]:

فقلتُ له لا تبكِ عينُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلْكًا أو نموتَ فَنُعذَرَا

فيقول: "ولو رفعت لكان عربيًّا جائزًا على وجهين : على أنْ تشرك بين الأوَّل والآخر، وعلى أن يكون مبتدأ مقطوعًا من الأوَّل، يعني أو نحن ممن يموتُ "[44].

فهذان الوجهان المشار إليهما في نصي سيبويه بمعانٍ تختلف عن معنى النَّصب عند الرَّفع، وهذا ما يدلّ على تغير الدَّلالة بتغير الفونيم التَّركيبي من الفتح أو ما ينوب عنه في النَّصب إلى الضَّم أو ما ينوب عنه في الرَّفع.

2- النَّبر والتَّنغيم وطول الصَّوت والفاصلة وما إلى ذلك من أحوال الصَّوت:

وهذه التي ذكرت إذ تصحب التَّركيب النَّحوي وقد أطلق عليها مصطلح الفونيم فوق التَّركيبي والدَّلالة، فقد يصحبها تغيير الدَّلالة من دون تغيير في فونيمات الكلمات. ومثالها في التَّنغيم، فنحن نستطيع أن نحوّل جملة مثل: (جاء محمَّدٌ)، من الإخبار إلى الاستفهام بمجرد استعمال التَّنغيم الخاص بالاستفهام مع الكلمتين أنفسهما، وكذلك نستطيع تحويلهما إلى معنى التَّعجب بالتَّنغيم الخاص بالتَّعجب، وهذا كلَّه من استعمال الفونيم فوق التَّركيبي لتغيير الدَّلالة.

فالتَّنغيم في اللغة من النَّغَم، وهو جرس الكلمة، وحسن الصَّوت إذا كان حسن الصَّوت في القراءة، وسكت فلان فما نَغَم بحرف وما تنَغَّم مثله وما نَغَم بكلمة[45].

وفي الاصطلاح: هو قرينة صوتيّة يستدلُّ بها في أثناء الكلام على معاني الجمل المختلفة عن طريق رفع الصَّوت(الصُّعود)، وخفضه(الهبوط). فهي الإطار الصَّوتي الذي تقال به الجملة في سياق معين[46]. كالجمل الاستفهامية، أو الجمل التَّعجبية، أو الجمل النِّدائيَّة الحقيقيَّة وغير الحقيقيَّة، فمعظم اللغات يمكن أنْ تُسمى لغات تنغيميَّة؛ لأنَّها تستخدم التَّنوعات الموسيقيَّة في الكلام بطريقة تميّزيَّة تفرق بين المعاني[47]، فـ "لكلِّ حالة تنغيميَّة نغمة معينة، وأداء يختلف عن غيره يفهم من دون الحاجة إلى إضافة أيِّ كلمةٍ أخرى، ولا يعني هذا أنَّ للكلمة الواحدة في الجملة أكثر من معنى بحسب تنغيمها، بل للجملة أكثر من معنى بحسب طريقة أدائها"[48].

فالتَّنغيم هو الإطار الصَّوتي الذي تقال به الجملة في السِّياق، إذ إنَّ التَّنغيم الذي يأتي عليه الاستفهام يختلف عن التَّنغيم الذي تأتي عليه الجملة التَّعجبيَّة أو الجملة الخبريَّة، وتنظيم الخبر المجرَّد يختلف عن تنظيم الخبر المؤكَّد؛ على غير ذلك من أغراض الكلام[49]، وخير مثال للتَّنغيم قول بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾ (الأنعام :76). فمن أقوالهم في (هذا ربي) أنَّ ذلك توبيخًا على وجه الإنكار والاستهزاء الذي يكون معه الاستفهام وتقديره: أهذا ربي؟!. والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت [50] .

---

(42) كتاب سيبويه: 3/ 47.
(43) ينظر: ديوان امرئ القيس: 66.
(44) كتاب سيبويه: 3/ 47.
(45) ينظر: كتاب العين: 426/4، والصَّحاح: 2045/5، ولسان العرب: 590/12، وتاج العروس، مادَّة (نغم): 704/17.
(46) ينظر: اللغة العربيَّة معناها ومبناها: 226.
(47) ينظر: مقدَّمة لدراسة علم الدَّلالة في ضوء التَّطبيق القرآني والنَّص الشِّعري:92، والدَّلالة اللغويَّة عند العرب: 178، والوقف في العربيَّة على ضوء اللسانيات:103، ودراسة الصَّوت اللغوي: 194-195، وعلم الأصوات اللغويَّة:134، والمدخل إلى علم الأصوات العربيَّة: 243.
(48) علم الأصوات اللغويَّة:134.
(49) ينظر: تقدير الاستفهام في القرآن الكريم: 20.
(50) ينظر: تقدير الاستفهام في القرآن الكريم: 21.

وعدَّ الدُّكتور أحمد مختار عمر ملاحظة الجانب الصَّوتي قد يؤثر على المعنى، كالنَّبر والتَّنغيم من ضروريات فهم المعنى وضرب مثلًا، قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ (يوسف: 75)، فلا شكَّ أنَّ تنغيم جملة: (قالو جزآؤه) بنغمة الاستفهام، وجملة: (من وجد في رحله فهو جزآؤه) بنغمة التَّقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف عن مضمونها [51].

3- دلالة التَّنوين:

يعد التَّنوين أحد أهم الظَّواهر الصَّوتيَّة الموقعيَّة التي تحدث في المستوى التَّركيبي، إذ يتمَّ فيه توظيف صوت النُّون للعمل مميّزًا نحويًا، فمن أبرز وظائفه في النَّحو حصر الكلمات التي يلتحق بها في الاسميَّة، زيادة على ما ذكرت كتب النَّحو العربي من دلالات أخرى لهذا المميز، كدلالة التَّنكير، ودلالة التَّمكين، ودلالة التَّعويض عن المضاف[52].

إنَّ للتَّنوين دلالة عامَّة يشترك فيها مع نوني التَّثنية والجمع، وهي دلالة الإتمام النَّحوي، فالتَّنوين يشير إلى تمكين الكلمة في وظيفتها النَّحويَّة، فتكون غير مفتقرة في أداء تلك الوظيفة إلى ما بعدها، فالاسم المنوَّن لا يضاف؛ لأنَّ الإضافة إنَّما تكون مع افتقار الاسم، وإذا انتفى الافتقار انتفت الإضافة[53].

4- دلالة الوقف:

هناك علاقة وطيدة بين الوقف والنَّحو، وتكمن هذه العلاقة في خروج الوقف من الأبنية أو من أحوالها، وربطه في قسمي الإدغام، والتقاء السَّاكنين ممَّا كان بين كلمتين، ممَّا يعني الرَّبط الواضح مع مستوى التَّركيب الجمليّ.

وقد عرَّفه ابن الحاجب بقوله: " الوقفُ قطع الكلمة عمَّا بعدها"[54]. ولكنَّ الرَّضي اختلف لمفهومه من الوقف مع ابن الحاجب بقوله عن الوقف: " السُّكوت على آخر الكلمة مختارا لتمام الكلام"[55]. وهو بتعريفه هذا يرتكز على تمام التَّركيب، ممَّا جعله أكثر التصاقًا بالجانب النَّحوي من كلام ابن الحاجب.

أمَّا في الجانب الدَّلالي فنجد الوقف له أثره في الصَّوت الأخير وحركته بما يسبِّب من خلل بالدَّلالة النَّحويَّة لعمل الحركات والتَّنوين؛ فالوقف موضع الاستراحة التي تؤدِّي مشارفتها إلى إضعافٍ واضحٍ في إخراج الصَّوت الأخير في السِّلسلة الصَّوتيَّة، وهو واحد من مواضع التَّغيرات الصَّوتيَّة، وإنَّ الأواخر تعد المحل الذي يظهر فيه التَّخفيف، وهذا ما توافق عليه المحدثون من بعد المتقدمين، ومن ذلك ما نجده عند نولدكه الذي يرى أنَّ ظاهرة الوقف قد عجَّلت بالتَّغير الصَّوتي الذي سمح بضياع ظاهرة الإعراب؛ لأنَّ هذه النَّهايات الإعرابيَّة تسقط بحسب الاستعمال اللغوي الكلاسيكي عندما تكون واقعة في أواخر الكلمات. ويوافقه على ذلك فندريس الذي يرى في الوقف ظاهرة من مظاهر البلى الصَّوتي الذي يعمل على اختزال طول الكلمة وهدم الإعراب[56].

وإذا كان الإسكان مظهرًا مقطعيًّا من مظاهر الوقف المستحبَّة عند العرب، فإنَّه قد ظهرت مظاهر أخرى إلى جانبه يتجلَّى فيه بوضوح الميل إلى الحفاظ على إظهار الحركة الإعرابيَّة حرصًا على بيان المعنى الوظيفي للكلمة، وتلك المظاهر هي الرُّوم والإشمام والتَّضعيف، والرَّوم بدلالته على الحركة

(51) ينظر: علم الدَّلالة : 13.
(52) ينظر: مسارات الدَّرس الصَّوتي: 141.
(53) ينظر: مسارات الدَّرس الصَّوتي: 142.
(54) الشَّافية: 233.
(55) شرح الشَّافية: 2/ 271.

(56) ينظر: اللغات السَّاميَّة: 80، واللغة: 89، ومسارات الدَّرس الصَّوتي: 145.

الخاصَّة أشدُّ بيانًا وأكثر قوَّة في معرفة الوظيفة النَّحوية للكلمة الموقوف عليها من التَّضعيف الذي يستدلُّ به عن مطلق الحركة، والذي يعطي دلالة تحرّك الحرف ليس إلَّا[57].

ومن هذا يظهر أنَّ ظاهرة الوقف يبرز فيها غلبة النِّظام الصَّوتي لما كان من شيوع الإسكان الذي يعني الإهمال الواضح للمميَّزات النَّحويَّة، بما ينسجم مع الميل إلى الحدِّ الأدنى من الجهد المبذول سعيًا وراء الخفَّة والانسجام في الكلام .

(57) ينظر: مسارات الدَّرس الصَّوتي: 146- 147.

الخاتمة

لقد بيَّنت الدِّراسة انسجامًا واضحًا بين المستويات اللغويَّة في إظهار المعنى، ولا سيَّما علاقة المستوى الصَّوتي في الدَّلالة المعجميَّة والصَّرفيَّة والنَّحويَّة، وبينت عمق الأثر لمواطن هذا الانسجام.

ففي المستوى المعجمي يتَّضح ممَّا آلت إليه الدِّراسة أنَّ هناك قواعد صوتيَّة لا يستغني عنها مستعمل المعجم؛ لأنَّ هذه القواعد الصَّوتيَّة يحتاجها مستعمل معجم اللغة للتوصّل إلى ما يحتاجه من كلمات غير موجودة في المعجم انطلاقًا من الكلمات الموجودة فيه. ويتبيَّن الأثر الصَّوتي أيضًا في قوة اللفظ لقوة المعنى، فهناك أمثلة كثيرة تُظهر القيمة التَّعبيرية للحرف الواحد في حال البساطة، وأيضًا في حال التَّركيب، فالحرف الواحد إذا وقع على صوت معين، ويوحي بالمعنى المناسب؛ سواء أكان هذا الحرف أوَّلًا، أم وسطًا، أم آخرًا.

وفي المستوى الصَّرفي ظهرت العلاقة في الحركات والبنى الصَّرفيَّة، إذ بيَّنت تلك العلاقة الأثر الواضح للصَّوت في وضع الحركات للتنبيه على البنية، وأظهرت أيضًا الانسجام الصَّوتي في التغيير الصَّرفي، وقد حدث هذا التغيير في أغلب مواضعه تماشيًا لمتطلبات النِّظام الصَّوتي من دون النِّظامين الآخرين.

أمَّا في المستوى النَّحوي فقد أظهرت العلاقة أنَّ الحركات الإعرابيَّة دالة المعنى الوظيفي، فالرَّفع علم العمدة، والنَّصب علم الفضلة، والجرُّ علم الإضافة، وإمَّا التَّنوين فهو علامة على التَّمام النَّحوي، واعتماد هذا كلِّه على أساس المستوى الصَّوتي. ولا يفوتنا حالة الوقف، وتكمن هذه العلاقة في خروج الوقف من الأبنية أو من أحوالها، وربطه في قسمي الإدغام، والتقاء السَّاكنين ممَّا كان بين كلمتين، ممَّا يعني الرَّبط الواضح مع مستوى التَّركيب الجمليّ. أمَّا في الجانب الدَّلالي فنجد الوقف له أثره في الصَّوت الأخير وحركته بما يسبِّب من خلل بالدَّلالة النَّحويَّة لعمل الحركات والتَّنوين؛ فالوقف موضع الاستراحة التي تؤدِّي مشارفتها إلى إضعافٍ واضحٍ في إخراج الصَّوت الأخير في السِّلسلة الصَّوتيَّة، وهو واحد من مواضع التَّغيرات الصَّوتيَّة، وإنَّ الأواخر تعد المحل الذي يظهر فيه التَّخفيف.

وخير ما نختم به قولنا أنَّ ما قدَّمناه في هذا البحث ما هو إلَّا نزر يسير؛ ولذلك ندعو الأخوة الباحثين ونوصيهم إلى فتح الأفق بدراسات أعمق وأوسع مجالًا، وندعوهم أيضًا إلى جمع ما كان مبثوثًا بصورة متناثرة في كتب الأقدمين في هذا المجال، وتنظيمها، مع الإفادة بما جاء به المحدثون؛ لرفد المكتبة المعرفيَّة بما هو نافع في الدِّراسات اللغويَّة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الانسجام الصَّوتي في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث دراسة تطبيقيَّة في جزء عمَّ ، محمَّد أحمد عبد المقصود، دار النَّابغة للنَّشر والتَّوزيع، ط1 ، 2019م .
- بحوث ومقالات في اللغة؛ د. رمضان عبد التَّواب مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، 1982م.
- تاج العروس من جواهر القاموس؛ محمَّد مرتضى الحسيني الزَّبِيدي، تح. عبد السَّتار أحمد فراج، التَّراث العربي، الكويت، 1984م.
- تقدير الاستفهام في القرآن الكريم؛ د. محمود بن عبد الجليل روزون، بحث في مجلَّة تبيان للدِّراسات القرآنيَّة العدد،25/ 1437ه.
- الخصائص؛ لأبي الفتح عثمان بن جني، تح . محمَّد علي النَّجار، المكتبة التَّوقيفيَّة، القاهرة، ط1 ، 2015 م.
- دراسات في علم أصوات العربيَّة، داود عبده، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط1، 1432ه – 2010م.

- دراسة الصَّوت اللغوي؛ د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ، 1997م.
- الدَّلالة الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة في سورة يوسف في ضوء الدِّراسات اللغويَّة الحديثة ومناهجها د. نادية رمضان النَّجار، بحث منشور بكتاب المؤتمر العلمي التَّاسع بكلية دار العلوم 2007م.
- الدَّلالة اللغويَّة عند العرب؛ عبد الكريم مجاهد، دار الضِّياء، عمَّان- الأردن، 1985م.
- ديوان امرئ القيس؛ تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984م.
- الشَّافية؛ بن الحاجب (ت646ه) ضمن كتاب: أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، د. عصام نور الدِّين، المؤسَّسة الجامعيَّة للدراسات والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ط1، 1402ه- 1982م.
- شرح شافية ابن الحاجب؛ رضي الدِّين الاستراباذي (ت 686ه)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1395ه- 1975م.
- شرح أشعار الهذليين؛ صنعة أبي سعيد السّكري؛ حققه: عبدالسَّتار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، د.ت.
- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة، اسماعيل بن حماد الجوهري، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.
- صيغة (انفعل) في التَّعبير القرآني، دراسة في المبنى والمعنى، بحث للدكتور هادي شندوخ حميد، مجلَّة كليَّة الآداب جامعة ذي قار، العدد الأوَّل، كانون الثَّاني، 2010م.
- صيغة (نفعل) في القرآن الكريم دراسة صرفيَّة دلاليَّة، بحث للباحث حسين عبد المهدي، كليَّة ابن الهيثم، جامعة بغداد.
- صيغة (انفعل) في القرآن الكريم، دراسة صوتيَّة، بحث للدكتور أحمد إبراهيم خضر والدكتور خالد حازم عيدان، مجلَّة كليَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة الموصل عام 2019م.
- علم الصَّوت العربي في ضوء الدِّراسات الصَّوتيَّة الحديثة؛ د. قاسم بريسم، دار الكنوز الأدبيَّة، ط1، 2005م.
- علم الأصوات اللغويَّة د. مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلميَّة للطباعة، بغداد، ط3، 2007م.
- علم الدَّلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط7، 2009م.
- غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلَّام الهروي، تح د. حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984م .
- غريب القرآن ؛ ابن قتيبة، تح أحمد صقر، دار الكتب العلميَّة، 1978م.
- الفائق في غريب الحديث؛ محمود بن عمر الزمخشري، تح/ علي محمَّد البجاوي، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان ط2، د.ت .
- الفعل زمانه وأبنيته؛ د. إبراهيم السَّامرائي، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ط3، 1983م.
- كتاب العين؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 2003م.
- كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح. عبد السلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 2006م.
- لسان العرب؛ ابن منظور، دار صادر بيروت – لبنان، ط1، 1997م.
- اللغات السَّاميَّة؛ تيودور نولدكه، ترجمة: د. رمضان عبد التَّواب، دار النَّهضة العربيَّة بالقاهرة، 1963م.

- اللغة، فندريس؛ ترجمة عبد الحميد الدِّواخلي ومحمد القصّاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة- القاهرة، 2014م.
- اللغة العربيَّة معناها ومبناها، د. تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة ، ط4، 2004م.
- المختصر في أصوات اللغة العربيَّة دراسة نظريَّة تطبيقيَّة؛ د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب ط 5، 2008م.
- المدخل في علم الأصوات العربيَّة؛ د. غانم قدوري، دار عمار ، عمان – الأردن ، ط1، 2004م.
- مسارات الدَّرس الصَّوتي عند رضيِّ الدِّين الأستراباذيِّ مقاربة لسانيَّة؛ د. حسن عبد الغني الأسدي، دار المدينة الفاضلة، بغداد- العراق، ط1، 2014ه.
- مقاييس اللغة؛ ابن فارس ، تح. عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- مقدِّمة لدراسة علم الدَّلالة في ضوء التَّطبيق القرآني والنَّص الشِّعري، اسماعيل طالب محمَّد ، دار كنوز المعرفة العلميَّة، 2011م.
- المنصف، ابن جنِّي، وهو شرح لكتاب التَّصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى ألبابي والحلبي وأولاده، ط1، 1954م.
- نشوء اللغة ونموها واكتهانها؛ للأب أنستاس ماري الكرملي، مكتبة الثقافة الدينيَّة، د.ت.
- نظريَّة الحس الصَّوتي لتعليم النَّحو العربي (مدخل لدراسة كتاب سيبويه)، د. محمد كاظم البكَّاء، المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم، معهد المخطوطات العربيَّة، 18/ 7/ 2018.
- الوقف في العربيَّة على ضوء اللسانيات، نيرباني عبد البديع، دار الغوثاني للدِّراسات القرآنيَّة، 2008م.